واحتفظت به . وبما ان الاعتراف بالهزيمة امر غير وارد مطلقا ، كان عليه ان يجد المبرر لتصعيد الحرب وزيادة حجم القوات الامريكية هناك . فادعت وزارة الدفاع الامريكية بان فيتنام الديمقراطية هاجمت مدمرات امريكية في المياه الدولية في خليج تونكين ، واعلنت بأن الطائرات الامريكية قامت بقصف الزوارق الفيتنامية الشمالية ، وقواعد ومستودعات نفطية في الشمال ، ردا على « العدوان » ... كان ذلك في سنة ١٩٦٤ .

وفي سنة ١٩٦٥ بدات الحرب الامريكية الشاملة في فيتنام . وغطت ادارة جونسون اهداف التصعيد ، بحجة انها ترد على اعتداءات فيتنام الشمالية ضد القواعد والقوات الامريكية في جنوب فيتنام ، ورفعت بالتالي شعار « حماية ارواح » القوات الامريكية في الجنوب ، اضافة الى شعار حماية « حرية » الشعب الفيتنامي في الجنوب ، و « حماية » حقه في تقرير مصيره ... (!)

ومع بداية الحرب الجوية الامريكية ضد فيتنام الديمقراطية ،اعطيت القيادة العسكرية الامريكية صلاحية ارسال قوات امريكية اضافية للقتال في فيتنام . وشهد عام ١٩٦٦ انطلاق طائرات ب ــ ٥٢ قاذفات القنابل الاستراتيجية ، من قاعدة غوام الامريكية ، لتضرب اهدافا داخل فيتنام الشمالية ، للمرة الاولى . وارتفع حجم القوات الامريكية الى اعلى مستوى ٥٥٠ الف جندي .

لقد كانت الولايات المتحدة الامبريالية تصعد حربها العدوانية ضد فيتنام منذ سنة ١٩٦١ . ولم تكن التصعيدات المتوالية سوى تطوير للطرق وللاجراءات التي تستهدف في النهاية اجتثاث النضال التحرري الوطني ، بتصفية طلائعه المقاتلة ، لتحقيق « التهدئة » المنشودة . فهذا الهدف كان العامود الفقري لحرب كندي الخاصة ، واصبح كذلك بالنسبة لحرب جونسون المحلية . وتوهم جونسون ومستشاروه بانهم قد وجدوا الحل في تصعيد الحرب ومدها الى شمال فيتنام . فالحملات المركزة في الجنوب ضد جبهة التحرير ، والحرب الجوية ضد الشمال ، « لتاديبها » وردعها عن مواصلة مد الثورة بالمساعدات ، بدت للبنتاغون الحل الافضل للخروج من المازق ، واستعادة الامل بتحقيق انتصار عسكري .

ولكن هذا التفاؤل الامريكي لم يدم طويلا . فقد جاء الرد الثوري يدمر هذه الامال ، ويعيد المعتدين الامريكيين الى ذات المازق ، الذي توهم نفسه خارجه بعد قرار التصعيد ، ويثبت قدرة الثورة المتعاظمة والفشل الذريع للقوات الامريكية والقوات الحكومية العميلة .

ففي ربيع سنة ١٩٦٨ شنت قوات الثورة هجوم الربيع الرئيسي ، لتحقق انتصارات اذهلت سايغون وواشنطن والذين سقطوا في الاوهام الامريكية . فقد اقتحمت القوات الثورية المدعومة من السكان المحليين ، العاصمة سايغون ، تتحدى النظام العميل في عقر داره ، وسيطرت على مدينة هوي ، ودخلت دانانغ ، كما هاجمت عشرات المدن الاخرى والقواعد العسكرية . وكان تاثير هذا الهجوم الثوري الرئيسي كبيرا على معنويات الجماهير الفيتنامية المشاركة والمساهمة في المقاومة الثورية للقوات الامريكية المعتدية وللقوات العميلة . ولم يفت على البنتاغون المعنى الاستراتيجي الهام لهذا الانتصار الثوري ، على الصعيدين العسكري والسياسي .

ومنذ ذلك الهجوم الثوري الرئيسي اصيبت القوات العميلة بجراح ما كان لها ان تلتئم ابدا. في الواقع يمكن القول بان انحلال القوات السايغونية قد بدا منذ ذلك التاريخ . وقد انعكس ذلك في عدة ظواهر بارزة : انتشار الانهزامية ، بروز ظاهرة الهرب من الجيش ، ايذاء النفس او بمساعدة جندي صديق لتوفير حجة بعدم الذهاب في عملية ، رفض وحدات اوحاميات اطاعة اوامر صادرة بتنفيذ عمليات ، نمو حركة المعارضة للحرب وتزايد نسبة عمليات الشغب بين الجنود . وهذا الانحلال المعنوي على اثر الهزيمة الاستراتيجية ، قد حد كثيرا من القدرة القتالية لهذا الجيش الحكومي

اما القوات الامريكية فلم تكن افضل حالا ، ويكفي دلالة على ذلك انتشار الادمان على المخدرات في صفوفهم . فالعديد من القواعد العسكرية الامريكية كانت تتلقى ضربات قاسية بخسائر جدية جدا « وبعدد ضخم من

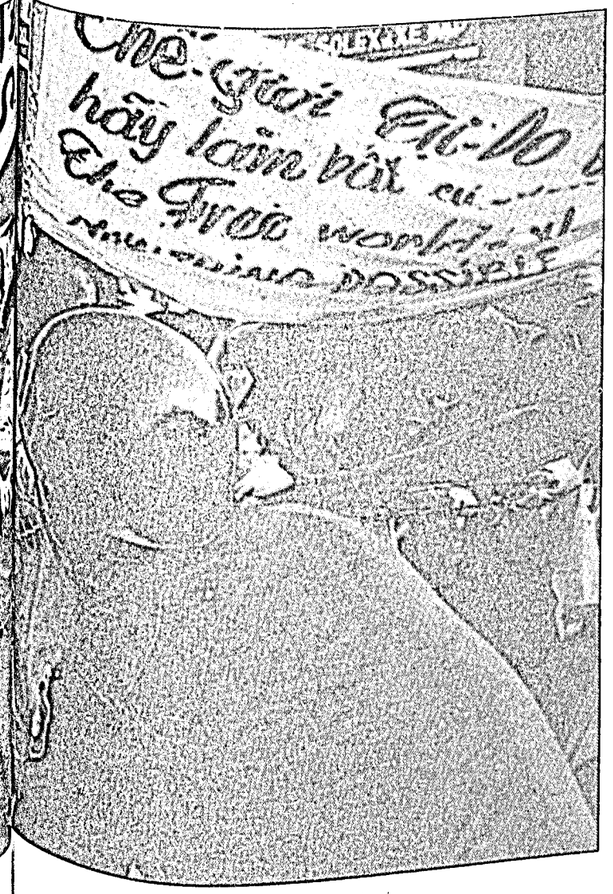

الضحايا » ، حسب التصريحات المألوفة للقيادة العسكرية الامريكية في سايغون . بل ان القواعد الامريكية في دانانغ وكي نون وكاران ، وغيرها من القواعد التي كانت تعتبرها هذه القيادة ، حصينة لا يمكن ان تمس، تعرضت مرارا وتكرارا للهجمات الثورية . بل ان قاعدة دون تري المصنفة قاعدة سرية جدا ، والمزودة بالمعدات الالكترونية القادرة على رصد ادنى تحرك معاد ، وقعت في ايدي قوات التحرير الشعبية المسلحة .

● الحرب السرية في لاوس .

في هذا الوقت كانت الولايات المتحدة تصعد حربها « السرية » في لاوس ، ضد المناطق المحررة التي يسيطر عليها ثوار الباثيت لاو . وكانت الولايات المتحدة منذ هزيمة فرنسا وتوقيع معاهدة جنيف لسنة ١٩٥٤ ، تضع للاوس ذات الموقع الاستراتيجي بحدودها المتاخمة لخمس دول اسيوية ، خطة تحويلها الى قاعدة في قلب الهند ــ الصينية ، لرد المد التحرري الثوري في اسيا .ومنذ ١٩٥٥ نصبت الولايات المتحدة حكومة رجعية عميلة اوكلت اليها مهمة سحق الثورة الوطنية بقيادة الباثيت بنتهكة بذلك ما نصت عليه اتفاقية جنيف. وكما فعلت مع ديم وخلفائه من العملاء، في جنوب فيتنام ، راحت واشنطن تدفق المساعدات العسكرية على حكومة فينتيان وتمول عملياتها العسكرية التي كانت موجهة ضد البنية التحتية للثورة .

ولكن ، وكما حدث في جنوب فيتنام ، فان عمليات التطهير وسياسة الارض المحروقة واقتلاع الجماهير الرئيسية لحشدها في القرى الاستراتيجية ــ او معسكرات الاعتقال ــ لحرمان السمك الثوري من بحره الجماهيري، كلها فشلت في تدمير الباثيت لاو او اضعافهم . وبمثل مفاجاة هجوم الربيع الثوري الفيتنامي ، فان الثوار في لاوس حققوا انتصارات على القوات الحكومية فاجبرتها برضوخ اسيادها الامريكيين ، على توقيع اتفاقية فينتيان لسنة ١٩٥٧ ، وتشكيل اول حكومة ائتلافية في لاوس ، شارك فيها رئيس الباثيت لاو ، الامير سوفانوفونغ . ولكن الولايات المتحدة صممت على ان تكون مصير هذه الاتفاقية كمصير اتفاقية جنيف . وصرفت الوقت على بناء القوات الخاصة من فلول المرتزقة وتعزيز القوات الحكومية وتقوية قوى العميل الرجعي للعودة الى الاستيلاء على السلطة .

الا ان الباثيت لاو بدورهم ، وقد ادركوا بان الامر مجرد هدنة ، وان الامبريالية الامريكية لا بد وان تكرر محاولاتها العدوانية ، استغلوا التوقف الملائم في ظل الحكومة الائتلافية لشن نضال سياسي شرعي في انحاء البلاد لتطوير قواتهم والحركة الجماهيرية المؤيدة لهم ، وتوسيع الجبهة الوطنية المعادية للامبريالية الامريكية وعملائها . وقد تحالفوا مع القوات الوطنية اللاوسية المحايدة لتعزيز هذا النضال ضد الهجمة الامبريالية . ولهذا لم يتم طويلا نجاح الولايات المتحدة في سنة ١٩٥٨ ، بالاطاحة بهذه الحكومة الائتلافية بواسطة زمرة عسكرية عميلة ، نشرت حكم الارهاب سعيا لتصفية الثورة . اذ بعد سنتين فقط اطاح انقلاب عسكري اخر بهذه الزمرة ، في سنة ١٩٦٢ . وظل الثوار يصعدون نضالهم ، يلحقون بالقوات الحكومية المرتزقة هزائم منكرة ، حملت الولايات المتحدة الى ارسال وحدات عسكرية الى تايلاند ووضع اسطولها السابع في حالة تاهب للتدخل في لاوس . ولكنهم تراجعوا عن هذه المغامرة في اللحظة الاخيرة واجبروا على توقيع اتفاقية فينتيان لسنة ١٩٦٢ ، التي شكلت ثاني حكومة ائتلافية في لاوس . ومرة اخرى لم يكن التزام الولايات المتحدة كطرف موقع ، باستقلال وحياد ووحدة لاوس وسيادتها الاقليمية ، سوى لمنح نفسها مهلة زمنية تستعد فيها وتعد القوى اليمينية لمحاولة الاستيلاء مجددا على السلطة . وفي سنة ١٩٦٤ استخدمت الولايات المتحدة القوات اليمينية للاطاحة بالحكومة الائتلافية ، لتبدا قاذفات القنابل الامريكية بقصف المناطق المحررة في لاوس ، وخاصة سهل الجرار الاستراتيجي . وكان ذلك نذيرا ببدء تدخلها العسكري المباشر لاخضاع شعب لاوس . وكما في فيتنام الجنوبية ، توهمت الولايات المتحدة بان تصعيد تدخلها القائم منذ الخمسينات في لاوس ، هو السبيل لتحقيق ما عجزت حتى ذلك التاريخ عن تحقيقه .

وبدا تدفق الاف الخبراء والضباط الامريكيين الى لاوس ليسيطروا سيطرة تامة على الحكم فيها ، وليوجهوا ويقودوا القوات الحكومية في حربها ضد الباثيت لاو . وكانت قاذفات القنابل الامريكية تلعب الدور الرئيسي فيها ، بحيث يمكن القول ان ارض لاوس تلقت نسبيا اكبر كمية من القنابل الامريكية وشهدت المناطق المحررة ربما اشرس حرب جوية بربرية ، وقد كان الثوار يسيطرون على ثلثي البلاد .